

180871 - هل ثبت أن فرعون كان باراً بأمه فلذا أمهله الله وأخر عقوبته ؟

السؤال

النبي موسى عليه السلام قام بالدعاء على فرعون 40 عاماً ، ولم تستجب دعوته ، رغم تجبر فرعون إلا بعد 40 عاماً..! والسبب : أن فرعون كان شديد البر بأمه ، وبعد وفاتها استجاب الله دعوة موسى عليه السلام ، هل هذا الكلام صحيح ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

يقول الله عز وجل : (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) يونس/88، 89 .

قال ابن جريج : يقولون : إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة .
"تفسير الطبري" (15 / 187) .

وكذا روي عن أبي جعفر محمد بن علي والضحاك . انظر " التمهيد " (10 / 301) .
وقال ابن الجوزي رحمه الله :

" كان بين الدعاء والإجابة أربعين سنة " . انتهى من " زاد المسير " (4 / 58) .

على أن الذي ذكره من السلف : هو أنه كان بين دعوة موسى على فرعون ، وإجابة الله له : أربعين سنة ، لا أنه ظل يدعو عليه أربعين سنة ، حتى استجاب له .

ثانياً :

لا يعرف عن فرعون إلا الجبروت والعلو في الأرض : ادعى الألوهية ، وظلم بني إسرائيل ، وسامهم سوء العذاب ، فحرمه الله من كل خير ، وأخذته نكال الآخرة والأولى ، وصار في الناس مثل السوء ، ومضرب الخزي والخسران في كل زمان .

ولا يعرف عنه بر بقريب ، ولا معروف في غريب ، ولا صلاح في قول ولا فعل .

وما يذكر عنه لعنه الله من كونه كان باراً بأمه وأن ذلك كان سبب تأخير العقوبة لا أصل له ، فيما نعلم ، ولا يعرف ذكر ذلك عن أحد من السلف ؛ بل لا يعرف عن أحد أنه ذكره بخير قط .

وما نُكِرَ أنفاً من تأخير عقوبته أربعين سنة بعد أن دعا عليه موسى وهارون عليهما السلام – إن ثبت – فإنما هو من إِملاءِ الله له ولقومه ، ليزدادوا إثماً فتعظم عقوبتهم ، كما قال تعالى : (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرًا لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) آل عمران 178 ؛ وقال تعالى : (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمَلِّي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) الأعراف: 182، 183 .

قال السعدي رحمه الله : " أي : أمهلهم حتى يظنوا أنهم لا يؤخذون ولا يعاقبون ، فيزدادون كفراً وطغياناً وشراً إلى شرهم ، وبذلك تزيد عقوبتهم ، ويتضاعف عذابهم ، فيضرون أنفسهم من حيث لا يشعرون " انتهى من "تفسير السعدي" (ص 310) .
وقال تعالى : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) الأنعام/ 44 .

وروى البخاري (4686) ومسلم (2583) عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ اللَّهَ لِيُمَلِّي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ) قَالَ ثُمَّ قَرَأَ : (وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) .
كما أن من حكمة ذلك أن يمحص الله الذين آمنوا كما قال تعالى : (إِنَّ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) آل عمران/141، 140 .

والله أعلم .